

شرح أصول الكافي

[334] (عن يحيى بن عمران) ثقة (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل) غور كل شئ عمقه وبعده وغاية خفاه وهذا الكلام يمكن أن يكون إشارة إلى تفاوت مراتب العقل والعلم في باب معرفة الصانع وازدياد كل واحد منها بسبب الآخر إذ للعقل في السير من العالم السفلي إلى العالم الذي هو عالم القدس وعالم التوحيد منازل غير محصورة وله في كل منزل نور معين وكمال معلوم وبصيرة مخصوصة يستعد بها لقبول علم فوق ما يكون له في هذا المنزل واستخراجه من القوة إلى الفعل (1) فإذا استخرجه فقد انتقل من هذا المنزل إلى منزل آخر فوقه، وهذا العلم يوجب زيادة نوره وكماله وبصيرته على ما كان له في هذا المنزل السابق فيستخرجه هذا العلم من النقص إلى الكمال وهكذا يتدرجان في الكمال ويتبدلان في السببية إلى ما شاء الله فقد تبين أن بكل واحد منهما يستخرج غور الآخر ونهاية كماله، ويمكن أن يكون إشارة إلى مراتب العقل والحكمة النظرية فإن العقل الهولاني يستخرج العلوم الأولية باستعمال الآلات أعني الحواس الظاهرة والباطنة وبهذه العلوم يستخرج العقل من الهولانية إلى الملكة وهكذا إلى العقل بالفعل الذي حصل له ملكة الاستحضار متى شاء من غير تجشم كسب جديد بل إلى ما فوق ذلك مما تعلق به المشية الإلهية، وبالجملة العقل بنور بصيرته يستخرج المعارف الإلهية والحكمة الربانية وتلك الحكمة بعد حصولها توجب كمال العقل وزيادة بصيرته فكل منهما يوجب خروج الآخر من حد النقص إلى حد الكمال على وجه لا يكون دورا، وكما أن للعقل قوة نظرية بها يتأثر من المبدء الأعلى ويستفيض منه العلوم (2) وكمالها _____ 1 - في عبارة الشارح نكات يجب التنبيه عليها حتى ينظر إليها بعناية خاصة ولا يمر عليها مرورا: الأول سير العقل من العالم الأدنى إلى العالم الأعلى يسمى في اصطلاح العرفاء بالسلوك والسائر فيه السالك وقد يقال له السفر وينقسم إلى أربعة أسفار من الخلق إلى الحق وفي الحق بالحق ومن الحق إلى الخلق وفي الخلق كل ذلك بالحق وعلى ذلك بنى صدر المتألهين (قدس سره) كتابه المعروف بالأسفار الأربعة. الثانية أن الترقى في كمال العقل متوقف على الاستعداد كانتقال المادة من صورة إلى صورة وفعلية السابقة معدة للاحقة. الثالثة أن الحكمة هي معرفة الله وما يتعلق بتلك المعرفة وهي تحصل للعقل باليسير والمجاهدة كما قال * (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) * فبتعلم الحكمة يترقى العقل وبترقى العقل يتعلم حكمة جديدة لم يكن مستعدة لها أولا، أو يقال المراد الحكمة العملية أي إطاعة الله في كل ما خلق

الإنسان لاجله وليس المراد بالحكمة النظرية أو العملية تقليد جماعة معينة من الحكماء بل متابعة العقل والدليل، وقد ألف الانصاري الهروي كتاباً ممتعاً في منازل السائرين. (ش) 2 - هذا مذهب الحكماء في كيفية إفادة المقدمات للنتائج ومذهب الاشاعرة في مطلق الاسباب أن عادة □ جرت بخلق المسبب عند وجود السبب وقالت المعتزلة بالتوليد من غير تأثير □ - تعالى □ عن ذلك - ومذهب الحكماء في هذه الاسباب أنها معدات يستعد به العقل والهيولي للافاضة من المبدء الاعلى. (ش) (*)
